المحاضرة الثانية: الأمراء والعلماء.

اصطف الله العلماء وطلاب العلم كالمجاهدين في سبيل الله، فقد منح الاسلام مكانة كبيرة للعلماء وطالب العلم، وعندما كان العلماء يستشارون في كل كبيرة وصغيرة من شؤون الحكم والرياسة، وصلت الدولة الاسلامية الى مشارق الارض ومغاربها، وكانت الاندلس منارة علم للعالم أجمع. ولما اصبح العلماء يقتاتون من موائد الحكام، سلط الله على الدويلات الاسلامية العدو من كل مكان، فأفل نجم الاسلام بسبب تراجع مكانة علماء الاسلام في ديارهم. وكانت مكانة العلماء في بلاد المغرب الاسلامي محفوظة دائماً، وكان للمغرب الاوسط في عهد الزيانيين والحفصيين حماة للدين الاسلامي ومصابيح تنير الطريق في الليلة الظلماء.

فقد كانت علاقة الأمراء بالعلماء مرتبطة بالمصلحة المتبادلة، ومنذ القدم أدرك الحاكم أهمية العلماء والمفكرين والفلاسفة في استعمالهم لتثبيت حكمه وتسخيرهم لخدمة مصالحه وأغراضه والدعاية للحاكم والكتابة باسمه. وكانت فئة العلماء والمفكرين والفلاسفة منقسمة على نفسها حيث اتجه بعضهم لخدمة مآربه ومصالحه الدنيوية والبعض الآخر اعتزل الحاكم وامتيازاته معارضاً الحاكم بالقول والخطابة.

واذا درسنا الواقع التاريخي لدولة بني زيان ادركنا أن العلاقة بين الامراء والعلماء، فلا نجد أصدق تعبيرا مما قاله القاضي محمد المقري أستاذ العلامة عبد الرحمن بن خلدون في هذا الصدد، حيث قال: (... أن شر العلماء علماء السلطان الذين يقبلون دعوى الامراء حيث بدات مكانتهم تنقص بقدر تقربهم من السلاطين....).

ومما سبق، نلاحظ ان العلماء انقسموا الى فئات فمن اختار التقرب من السلطة السياسية ونال الحضوة والجاه والمال والمكانة والامتيازات نظير وقوفه الى جانب الحاكم او ولي الامر، ومن العلماء الذين اختاروا الابتعاد عن الامراء وبلاط الحكام اختاروا اعتزال

السلطة والذهاب بعيدا الى مناطق لا يصلها حكم الامراء وأعينهم خوفا من بطشهم في حال معارضة السلطة.

وعليه، أخذت هذه الفئة في الاندماج بعامة الناس لأجل معرفة مشاكلهم والوقوف معهم لأجل اثارة حماسهم للثورة على حكم الامراء مثل العلامة أحمد الونشريسي الذي اتهمته السلطة بالمعارضة مما جعله يفرّ الى بلاد المغرب الاقصى، وبه خسرت الجزائر أعظم عالم في عصره.

كما شجّع الوضع السياسي المضطرب والفوضى السائدة في المغرب الاسلامي والحروب بين دويلاته طوال عقود من الزمن إسبانيا الكاثوليكية على تطبيق حرب الاسترداد بعد سقوط قلعة الاندلس كلياً سنة 1492. فبادرت باحتلال سواحل المغرب من مدينة طنجة غرباً الى مدينة برقة شرقاً، واستسلمت معظم الامارات السياسية لحكم ملوك اسبانيا بداية من القرن السادس عشر، مما أدى الى انتشار حالة الجهاد بقيادة العلماء والفقهاء والمرابطين وزعماء الزوايا داخل امارات المغرب الاسلامي الاوسط الجزائر وهي ظاهرة ملفتة للنظر، وهو مايؤكد الدور الفعال الذي قام به علماء الجزائر خلال الحكم الزياني وبداية الفترة العثمانية.